التمثلات البصرية للهوية الثقافية :مدخل تربوي في تحليل النتاج الفني الأكاديمي لطلبة كلية الفنون الجميلة

Visual Representations of Cultural Identity: An Educational Approach to Analyzing the Academic Artistic Production of Fine Arts College Students

م. د. احمد نور كاظم

Dr. Ahmed noorKadhem

كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل

Fine.ahmed.noork@uobabylon.edu.iq

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث تمثلات الهوية الثقافية في النتاج الفني الأكاديمي لطلبة كلية الفنون الجميلة، بوصفها مدخلاً تربوياً فاعلاً في تكوين وعي بصري مرتبط بالبيئة والمجتمع. وانطلق البحث من فرضية مفادها أن الهوية الثقافية ليست فقط حاضرة بصرياً في أعمال الطلبة، بل إنها تشكّل مرجعية ضمنية أو صريحة في بناء خطابهم الفني. ولهذا، جاءت مشكلة البحث متمحورة حول كيفية تفعيل وتحليل هذه التمثلات البصرية ضمن إطار تربوي يعزز الانتماء الثقافي ويحفز التفكير الإبداعي.

اعتمد البحث منهج التحليل النوعي لمجموعة من النتاجات الفنية المختارة قصدياً من طلبة المرحلتين الثالثة والرابعة، في مادتي "الأشغال الفنية" و"تجارب فنية حرة"، مع اعتماد مؤشرات مستمدة من الإطار النظري، شملت الجوانب الرمزية والمفاهيمية والأسلوبية والدلالية في العمل الفني. وتم استبعاد النتاجات التي لم تُظهر تمثلات واضحة للهوية الثقافية، ضماناً لصدق العينة وتحقيقاً لأهداف البحث.

كشفت النتائج أن معظم الأعمال تمثل انعكاسات لهوية الطالب الثقافية من خلال توظيف الرموز التراثية، والتقنيات المحلية، والموضوعات المرتبطة بالبيئة والمجتمع، وأن هذه التمثلات تتفاوت بحسب وعي الطلبة وتراكمهم الأكاديمي. كما أبرزت النتائج

أهمية التربية الفنية كحقل تربوي وثقافي، قادر على بناء الوعي بالهوية وتعزيزه، إذا ما تم توجيهها بشكل تربوي ممنهج.

وقد خلص البحث إلى عدد من الاستنتاجات أبرزها أن دمج مفاهيم الهوية الثقافية في الممارسة الفنية الأكاديمية يسهم في إنتاج خطاب بصري أصيل، وأن تطوير المناهج وأساليب التوجيه التربوي يسهم في رفع مستوى الوعي الثقافي والفني للطلبة. كما قدم البحث مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تسهم في تعزيز حضور الهوية الثقافية في المؤسسات التعليمية، عبر تحديث المحتوى الدراسي وتفعيل البعد الثقافي في تحليل النتاجات.

الكلمات المفتاحية : التمثلات البصرية ، الهوية الثقافية ، النتاج الفني الأكاديمي .

Abstract:

This study explores the visual representations of cultural identity within the academic artistic productions of students from the College of Fine Arts, positioning these representations as an effective pedagogical entry point for fostering visual awareness rooted in local culture and environment. The research is grounded in the assumption that cultural identity is not only visually present in student artworks but also functions as an implicit or explicit reference in shaping their artistic discourse.

The research problem centered on how these visual representations can be activated and analyzed through a pedagogical lens that enhances cultural belonging and stimulates creative thinking. A qualitative analytical approach was adopted, focusing on a purposive sample of student artworks from the third and fourth academic years in the subjects of "Artistic Handicrafts" and "Free Artistic Experiments." Artworks lacking clear indicators of cultural identity were excluded to ensure sample validity and alignment with the research objectives.

Findings revealed that most artworks reflected aspects of the students' cultural identities through the use of traditional symbols, local techniques, and themes linked to the environment and community. These representations varied depending on the

students' academic experience and cultural awareness. The results also underscored the significance of art education as a pedagogical and cultural field capable of cultivating and reinforcing identity awareness when guided through structured educational frameworks.
The study concluded that integrating cultural identity concepts into academic artistic practice contributes to producing an authentic visual discourse, and that the development of curricula and pedagogical guidance methods plays a crucial role in enhancing students' cultural and artistic competencies. A set of recommendations and proposals were presented, aiming to reinforce the presence of cultural identity in educational institutions through curriculum enrichment and the activation of cultural dimensions in artistic analysis.

Keywords:Visual Representations, Cultural Identity, Academic Artistic Production.

الفصل الأول / منهجية البحث

أولا : مشكلة البحث .

تُعد الهوية الثقافية من المفاهيم الجوهرية في تكوين الشخصية الفنية والفكرية للفرد، إذ تنطوي على جملة من القيم والتصورات والانتماءات التي تشكّل الوعي الذاتي والجمعي. وفي البيئات التعليمية، لاسيما في كليات الفنون الجميلة، يكون للهوية الثقافية حضور نوعي في النتاجات الفنية للطلبة، باعتبارها مرآةً تعكس عمق انتمائهم وسعة فهمهم لموروثهم المحلي، وتُعد أداة تعبيرية تتجلى في بنية العمل الفني وموضوعاته وأسلوبه البصري ،إذ تشير المتابعة الأكاديمية إلى أن النتاج الفني لطلبة كليات الفنون غالباً ما يحتوي على إشارات بصرية أو رمزية تعبّر عن تمثلات الهوية الثقافية، سواء عبر استلهام الرموز والموروثات الشعبية، أو من خلال المعالجة المفاهيمية لموضوعات تتعلق بالبيئة والمجتمع والذاكرة الجمعية. ومع أن هذه التمثلات قد

تتفاوت في قوتها ووضوحها من عمل لآخر، إلا أن حضورها يشكّل فرصة لقراءة النتاج الأكاديمي من منظور ثقافي وتربوي يسبر مدى وعي الطلبة بهويتهم، وقدرتهم على ترجمتها بصرياً ، وإن النظر إلى الهوية الثقافية بوصفها مدخلاً تربوياً في تحليل النتاج الفني الأكاديمي يكشف عن أبعاد معرفية وجمالية وتربوية تحتاج إلى تحليل علمي .

بناءً عليه، تتحدد مشكلة البحث في السعي إلى تحليل هذه التمثلات البصرية للهوية الثقافية في نتاج طلبة كلية الفنون الجميلة، ودراسة الكيفية التي يتم من خلالها توظيف عناصر الهوية ضمن العمل الفني الأكاديمي، وذلك عبر رؤية تربوية تسهم في تعزيز الانتماء والوعي الثقافي داخل الممارسات الفنية للطلبة.

ثانيا : أهمية البحث والحاجة إليه .

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول منطقة بالغة الحيوية في الخطاب التربوي والفني المعاصر، إذ يسعى إلى فهم وتحليل تجليات الهوية الثقافية في النتاج الأكاديمي للطلبة، بما يكشف عن مدى وعيهم بمفهوم الهوية، وقدرتهم على ترجمته في ممارساتهم التشكيلية ، كما أن البحث يسهم في تعزيز البعد التربوي في تحليل العمل الفني من خلال ربطه بسياقاته الثقافية والاجتماعية، مما يعزز من الرؤية التربوية في تدريس الفنون، ويعطي موجهات تطويرية للمنهج الأكاديمي في ضوء النتائج المتحققة. في حين تكمن الحاجة إليه في :

_ تسليط الضوء على التفاعل بين الهوية الثقافية والتربية الفنية، وهو ميدان لم يُدرس بشكل معمق في البيئة العربية.

_ يُقدم إطاراً تحليلياً لقراءة النتاجات التشكيلية ليس من منظور جمالي فقط، بل من زاوية رمزية وثقافية.

ثالثا : أهداف البحث . يهدف هذا البحث إلى:

1. تحليل التمثلات البصرية للهوية الثقافية في النتاج الفني الأكاديمي لطلبة كلية الفنون الجميلة.

2. الكشف عن الأساليب الفنية والرمزية التي يوظفها الطلبة للتعبير عن هويتهم الثقافية.

3. إبراز العلاقة بين العملية التعليمية والوعي الثقافي البصري لدى الطلبة.

رابعا : حدود البحث.

الموضوعية: تحليل النتاجات الفنية لطلبة كلية الفنون الجميلة (المرحلة الثالثة / مادة الأشغال الفنية – المرحلة الرابعة / مادة تجارب فنية) ، في ضوء التمثلات البصرية للهوية الثقافية ضمن رؤية تربوية .

الزمانية: العام الدراسي 2024 – 2025.

المكانية: كلية الفنون الجميلة – جامعة بابل .

خامسا : تحديد المصطلحات .

1: التمثلات البصرية . اصطلاحاً : هي التصورات والتجليات التي تترجم بصرياً عبر الفنون التشكيلية ، لتعبر عن مفاهيم وقيم أو مواقف فكرية أو ثقافية(علي ، محمد شفيق، 2021 ، ص65).

إجرائياً :مظاهر التعبير الفني التي تجسد الهوية الثقافية في أعمال الطلبة ،سواء عبر الرموز أو الألوان أو الموضوعات أو المعالجة الفنية التي تبرز البعد الثقافي في العمل الفني.

2: الهوية الثقافية .

اصطلاحاً : تُشير إلى مجموعة القيم والرموز والممارسات الاجتماعية التي تميز جماعة ما عن غيرها، وتشكل وعي الفرد بانتمائه لتلك الجماعة(Hall, Stuart. 1996, p. 110.).

إجرائياً: هي مجمل الرموز والدلالات الثقافية والعناصر البصرية التي يُظهرها الطالب في إنتاجه الفني وتعبر عن انتمائه الاجتماعي والثقافي.

3: المدخل التربوي .

اصطلاحاً:هو إطار فكري وتعليمي يُستخدم لتنظيم طرائق التدريس بما يحقق أهدافًا معرفية وسلوكية ووجدانية محددة(عوض، ماجد،2019،ص 45).

إجرائياً: يتمثل في اعتماد الهوية الثقافية كمرتكز لفهم النتاج الفني للطلبة ضمن المناهج الأكاديمية وأساليب التدريس.

4: النتاج الفني الأكاديمي .

اصطلاحاً: هو العمل الفني الذي ينتجه الطالب داخل المؤسسة الأكاديمية ضمن متطلبات المنهج الدراسي(الكيلاني ، فاروق، 2015، ص 113).

إجرائياً: يتمثل في الأعمال الفنية التي أنجزها طلبة كلية الفنون الجميلة كجزء من متطلباتهم الأكاديمية ،والتي ستخضع للتحليل في هذا البحث للكشف عن التمثلات البصرية للهوية الثقافية وفق رؤية تربوية .

الفصل الثاني / الإطار النظري

المبحث الأول : الهوية الثقافية و تمثلاتها البصرية – المفهوم والتجليات .

الهوية الثقافية ليست مفهوماً سكونياً أو جامداً، بل تُعد بناءً ديناميكياً متغيراً يتشكل في ضوء التفاعل الاجتماعي والتاريخي والجغرافي، وهي تتضمن مجموعة من السمات المشتركة التي تربط الفرد بجماعته، وتؤسس لشعوره بالانتماء والخصوصية. وتشمل هذه السمات أنماط السلوك، اللغة، الرموز، التقاليد، الطقوس، والممارسات الاجتماعية والفنية التي تنتقل عبر الأجيال وتعيد إنتاج نفسها في سياقات متجددة.

ويؤكد "ستيوارت هول" أن الهوية ليست كياناً مكتملاً، بل "عملية تشكل دائم، تتجدد باستمرار من خلال علاقتها بالآخرين، وبالزمن التاريخي(Hall, Stuart. 1990, p. 225) ، إذ يُعاد إنتاج الهوية من خلال التفاعل بين الماضي والراهن، بين المحلي والعالمي. لذا فإن الهوية الثقافية، في جوهرها، تمثل الذاكرة الجماعية المشحونة بالدلالات والقيم التي تشكل وعي الأفراد وتوجه ممارساتهم. وفي السياق العربي، تتخذ الهوية الثقافية أبعادًا أكثر تعقيدًا بسبب ما تعرضت له المجتمعات من استعمار ثقافي، وتبعية

اقتصادية، وتهميش للثقافات المحلية، وهو ما يجعل الهوية ليست مجرد وعي بالذات، بل أيضاً "فعل مقاومة ضد المحو الرمزي، وكما يشير "عبد الله العروي"، فهي فعل استعادة وتثبيت للذات في مواجهة التبعية والاغتراب (العروي، عبد الله، 1992، ص 38) .
ومن هنا، فإن الهوية ليست فقط معطى اجتماعياً أو إثنياً، بل هي بناء رمزي ومعرفي يتجسد في الخطاب والفن والسلوك. وهذا البناء خاضع للتفاوض وإعادة التشكل بحسب السياقات التربوية والثقافية والسياسية، وهو ما يفسر اختلاف تمثلات الهوية حتى داخل المجتمع الواحد.
وإذ يُعد البُعد البصري من أكثر الفضاءات تعبيرًا عن الهوية الثقافية، حيث يعمل الفن على تحويل عناصر الثقافة إلى رموز قابلة للرؤية، تنقل مضموناً أعمق من الكلمات. إن ما يميز التمثلات البصرية للهوية هو قدرتها على الإيحاء والتكثيف، إذ تُترجم الأفكار والمشاعر والانتماءات إلى تشكيلات لونية، ورموز، وشفرات بصرية تتفاعل مع المتلقي على أكثر من مستوى ، والفنان، سواء بوعي أو دون وعي، يستبطن رموز بيئته الثقافية، ويعيد توظيفها من خلال تقنيات وأساليب تختلف بحسب السياق والزمن.
ويرى "آل سعيد" أن الفن قادر على نقل الهوية بصرياً عبر الرموز والألوان وتتمثل الهوية الثقافية في النتاج الفني عبر استدعاء عناصر البيئة والتراث والرموز المحلية ، مما يحول العمل الفني إلى سجل بصري للذات الجماعية(آل سعيد ، شاكر حسن، 2006 ، ص114).
ويذهب "علي وطفة" إلى أن "العمل الفني يحمل في بنيته رموزاً من الهوية الجمعية، سواء كان مرجعه تراثياً أو راهناً، لأنه نتاج رؤية مشبعة بالسياق الاجتماعي(وطفة، علي، 2006، ص 71). وهذا يعني أن العمل الفني ليس انعكاساً مباشراً للثقافة، بل تمثيل لها، أي أنه يعيد بناءها من خلال نظرة الفنان الذاتية، وخلفيته التعليمية، ومدى وعيه بدوره في إنتاج المعنى.
وفي هذا السياق، فإن تمثلات الهوية البصرية قد تكون مباشرة (كأن يظهر الرمز الوطني أو الديني صراحة)، أو رمزية (تظهر من خلال التكوين، اللون، الأسلوب)، بل

وقد تكون أيضاً مفككة أو نقدية، كما هو الحال في الفن المعاصر الذي يعيد مساءلة رموز الهوية بدلاً من تمجيدها.

وفي الصدد نفسه يرى "عبد السلام" أن التمثلات البصرية تتجاوز الدلالة الشكلية إلى كونها تعبيراً عن خطاب رمزي يحمل أبعاداً ايديولوجية وثقافية ، ويسهم في إعادة إنتاج المعاني الجمعية داخل الفضاء الفني(عبد السلام ، محمد، 2019، ص89).

ويرى الباحث إن العملية التربوية، ولا سيما في ميدان الفنون الجميلة، تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل وعي الطالب بهويته الثقافية، ليس فقط من خلال المحتوى التعليمي، بل من خلال بيئة التعليم ككل، بما فيها الأستاذ، المنهج، المشاريع، والنقد الفني. فالتعليم لا ينقل المعرفة فحسب، بل يُرسخ أيضاً أنماطاً من الرؤية والتفكير، ولهذا يمكن أن يكون التعليم الفني عاملاً في تعزيز الهوية أو تهميشها.

ويذهب "باولو فريري" إلى أن "العملية التربوية إما أن تكون أداة للتحرير أو أداة للهيمنة(Freire, Paulo, 1970, p. 74).

فإذاكانت المناهج غريبة عن واقع الطالب وثقافته،فإنها تزرع فيه اغتراباً بصرياً وانفصالاً عن مرجعياته الثقافية. أما إذا كانت تُشجع الطالب على اكتشاف ذاته الثقافية من خلال العمل الفني، فإنها تفتح أمامه أفقًا لتكوين وعي بصري ناقد ومنتمٍ.

وفي هذا الإطار، تبرز أهمية توظيف الهوية كمدخل تربوي، حيث يُمكن تحويل العمل الفني إلى مساحة للتعبير عن الذات الجماعية، واستكشاف جذور الانتماء، والتفاعل مع الرموز والمعاني التراثية ضمن لغة تشكيلية معاصرة. كما أن حضور الهوية داخل مشاريع الطلبة يخلق توازناً بين الابتكار الفني والأصالة الثقافية.

ومع ظهور الوسائط الجديدة، والتقنيات الرقمية، وانتشار الفن المفاهيمي، برزت إشكاليات جديدة في تمثيل الهوية، إذ لم تعد الأشكال التقليدية للهوية كافية للتعبير عن التعقيدات التي يعيشها الفرد في زمن العولمة. أصبحت الهوية تُطرح داخل الفن المعاصر بوصفها سؤالاً مفتوحاً، أكثر منها جواباً نهائياً ، فنجد فنانين معاصرين يستخدمون التقطيع، والتجهيز، والفيديو آرت، لتركيب صور متعددة للهوية، تعكس التشظي، التهجين، والتفاوض المستمر بين المحلي والعالمي. وفي هذا السياق، يرى

"هومي بابا" أن الهوية تُبنى في "المساحات الهامشية"، أي تلك المناطق التي تتقاطع فيها الذوات المختلفة، وتنتج سرديات جديدة(Bhabha, Homi K, 1994, p. 38). وفي ظل هيمنة الصورة الرقمية والعولمة البصرية باتت الهوية الثقافية معرضة للتشظي ، وهو ما فرض على الفنان المعاصر مسؤولية الحفاظ على الأصالة ضمن فضاء مفتوح للرموز العولمية ، وتحدي طمس الخصوصية المحلية(ابو زيد ، احمد، 2021 ، ص36). لكن هذا لا يعني أن الهوية تُفقد، بل يُعاد تشكيلها. فكما يذكر "أرغون أبادوراي"، فإن العولمة تفتح المجال لإعادة إنتاج الهوية في "أشكال جديدة من التواصل، تتيح للشعوب أن تعيد كتابة ذواتها داخل فضاءات متعددة(Appadurai, Arjun, 1996, p. 44). وهذا ما يجعل تمثلات الهوية في الفن المعاصر أكثر عمقاً، وأكثرا رتباطاً بالبعد النقدي، حيث يتم مساءلة الثقافة، لا تمجيدها، ويتم تحليل السلطة الكامنة في الرموز، لا تكرارها فقط.

يتبين للباحث من خلال هذا المبحث أن الهوية الثقافية ليست معطى جامداً، بل كيان متغير ومتفاعل يتموضع في بنية الوعي الجمعي ويعيد تشكيله باستمرار، عبر التمثلات البصرية التي تحمل دلالات رمزية ومعرفية. إذ تُعد الصورة الفنية إحدى أهم الأدوات التي تسهم في صياغة الهوية، وتدوين مظاهرها الاجتماعية، والروحية، والتاريخية ، ويرى الباحث أن أهمية التمثلات البصرية للهوية تكمن في كونها تتجاوز الطابع الزخرفي أو التزييني، لتغدو فعلاً ثقافياً واعياً، يتطلب مهارة في إعادة بناء الرمز وتحميله بحمولة دلالية ترتبط بالواقع المعاصر. كما أن تغييب البعد الثقافي في النتاجات الفنية يؤدي إلى سطحية في المعالجة البصرية، وانفصال عن الجذور القيمية والاجتماعية للفنان.

المبحث الثاني : النتاج الفني الأكاديمي لطلبة الفنون – رؤية تربوية .

يمثل النتاج الفني الأكاديمي خلاصة الخبرات التي يكتسبها الطالب في مؤسسات التعليم الفني، وهو لا يقتصر على الإنتاج المادي من رسوم ولوحات وأعمال تشكيلية فحسب، بل يتضمن أيضاً البنية المفاهيمية التي يحملها هذا النتاج، من رموز ودلالات وأساليب وتقنيات، تعكس مستوى النضج الفني والفكري للطالب، ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى النتاج الفني الأكاديمي بوصفه مرآة تعكس علاقة الطالب بالثقافة والمعرفة والواقع الاجتماعي.

يعرفه "جيفري سميث" بأنه "نتاج تعليمي إبداعي يعكس تفاعل الطالب مع المعرفة النظرية والتطبيقية ضمن إطار تعليمي موجه(Smith, Geoffrey, 2003, p. 97.) . وهو ما يشير إلى أهمية البيئة التربوية في توجيه النتاج الفني، وتحفيز الطالب على تطوير أسلوبه الخاص ضمن أطر معرفية وجمالية محددة.

وفي السياق العربي، يشير " الزبيدي" إلى أن "النتاج الفني الأكاديمي لا يُفهم بمعزل عن المنهج الذي صاغه، فهو تمثيل فعلي لما تبنيه المؤسسة الأكاديمية من مفاهيم وقيم ورؤى تشكيلية(الزبيدي، علي ، 2009، ص 56). وهذا يعني أن ما يُنتج داخل كليات الفنون لا يمكن فصله عن السياسات التعليمية، ولا عن السياق الثقافي والاجتماعي الذي يتفاعل معه الطالب.

والنتاج الفني لا يؤدي فقط وظيفة جمالية، بل يحمل في طياته رسائل تعليمية وتربوية. إنه شكل من أشكال التعبير الذاتي، لكنه في الوقت نفسه محكوم بسياق تربوي ينظم أدوات التعبير ويوجهها. وهنا تلعب الكلية الفنية دوراً جوهرياً في خلق بيئة تعليمية تنمي الوعي الفني والنقدي لدى الطالب، وتدفعه إلى تأصيل تجربته انطلاقًا من هويته الثقافية. ويتميز هذا النتاج بكونه موجهاً ضمن أهداف تعليمية محددة ويخضع لعملية تقييم وغالباً ما يعكس توجهات

المؤسسة التعليمية ، ويظهر فيه أثر المعلم ، وهيمنة التكنيك على المفهوم في بعض الأحيان(عبد الجبار ، سميرة، 2021 ، ص44).

ويذهب "جون ديوي" إلى أن "الفن في التعليم ليس فقط وسيلة، بل غاية في حد ذاته، لأنه يُنمي الإحساس بالجمال والحس الإنساني والتفكير الرمزي(Dewey, John, 1934, p. 22.). لذا فإن ما يُنتجه الطالب من أعمال فنية يُعد مؤشراً على قدرته على تحويل الخبرات الشخصية والثقافية إلى رموز بصرية ذات دلالة.

وتتجلى الوظيفة التربوية للفن في تعزيزه للقدرة على التفكير النقدي الإبداعي ، وتطوير الحس الجمالي ، وبناء وعي ثقافي لدى الطالب تجاه ذاته ومجتمعه ، ما يجعل النتاج الأكاديمي وسيلة لصياغة رؤية شخصية لها جذورها القيمية(احمد ، فاطمة الزهراء، 2020 ، ص59).

وتشير الدراسات الحديثة في التربية الفنية إلى أن تعزيز الهوية الثقافية في النتاج الأكاديمي يؤدي إلى تحفيز الإبداع، ويُقلل من التبعية البصرية للنماذج الغربية الجاهزة. إذ أن استبطان عناصر الهوية داخل النتاج الفني، سواء أكان ذلك عبر الرمز أو الأسلوب أو الموضوع، يُسهم في إنتاج خطاب بصري له خصوصية محلية ومحمول ثقافي واضح(عبد اللطيف ، ندى حسن، 2020،ص112).

ويُعد المنهج الأكاديمي أداة حاسمة في صياغة نوعية النتاج الفني الذي يُنتجه الطلبة. فكل منهج يحمل في طياته رؤية معينة للفن، وللدور الذي يجب أن يؤديه الفنان في المجتمع. فإذا كان المنهج قائماً على الاستلهام من البيئة والثقافة المحلية، فإن النتاج سيكون أكثر التصاقاً بالهوية. أما إذا كان المنهج يعتمد على النقل أو المحاكاة المجردة لمدارس فنية عالمية دون تأصيل، فإن النتاج يصبح معزولاً عن السياق الثقافي.

ويرى "العقيلي" إن النتاج الفني يرتبط بالمنهج الدراسي من حيث المحتوى والأسلوب ولكن يلاحظ أحياناً ضعف في ربط المناهج بالهوية الثقافية للطالب ، مما يؤدي إلى انفصال بين الشكل الفني والمحتوى الثقافي(العقيلي، خالد، 2022 ، ص103).

ويُشير "هيربرت ريد" إلى أن "المنهج الفني يجب أن يكون مرناً ومفتوحاً على التجربة، لكنه لا بد أن يُرسي أُسساً تربوية تضمن توازن الطالب بين الحرية والانضباط(Read, Herbert. 1943, p. 65). بمعنى أن العمل الفني الأكاديمي لا يمكن أن يكون فقط حالة إبداع حر، بل يجب أن يكون ناتجاً عن فهم واضح للمفاهيم التشكيلية، والخلفيات الثقافية.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية مراجعة المناهج الفنية باستمرار، للتأكد من أنها تُعزز من قدرة الطالب على التعبير عن ذاته الثقافية، لا فقط تقليد نماذج فنية وافدة. كما يجب أن تحتوي المناهج على مساحات للتجريب والتعبير الحر، حتى لا يُختزل النتاج في التمرينات التقنية فقط، بل يصبح مشروعاً بصرياً له رؤية ومعنى.

وتشكل الهوية الثقافية أحد المحاور الأساسية في النتاج الفني الأكاديمي، خصوصاً في المجتمعات التي تعاني من تحديات ثقافية كالتهميش أو التغريب أو طغيان النموذج المستورد. وفي هذا الإطار، يمكن النظر إلى نتاج الطلبة بوصفه تعبيراً عن وعيهم الجمعي، ووسيلة لاستعادة الرموز والمفردات المحلية داخل لغة فنية معاصرة.

فالكثير من نتاجات كليات الفنون تسعى إلى إعادة توظيف العناصر التراثية أو الرموز الدينية أو البيئية بطريقة مبتكرة، تعكس التحول في فهم الهوية، ليس بوصفها معطى ثابتاً، بل بوصفها بناء مرناً قابلا للتجدد. وهنا، يصبح النتاج الفني مرآة لصراع الهوية، أو لحوارها مع المستجدات البصرية العالمية. ويُبرز "إدوارد سعيد" أهمية أن يكون الفن وسيلة لـ"تفكيك المركزيات الثقافية المهيمنة، وإبراز التعدد داخل الهوية الواحدة(Said, Edward, 1994, p. 215.) ،وهو ما

يعني أن العمل الفني الجاد يُمكنه أن يُسهم في بناء سرديات جديدة للانتماء، من خلال الفضاء الأكاديمي.

يخلص الباحث من خلال هذا المبحث إلى أن النتاج الفني في البيئة الأكاديمية لا يمكن فصله عن الأهداف التربوية والتعليمية التي توجهه، وأن العملية الفنية داخل كلية الفنون تتطلب توازناً بين البناء التقني والعمل المفاهيمي. فرغم أن الجوانب المهارية تُشكّل قاعدة أساسية في التكوين الفني، إلا أن غياب التوجهات الثقافية أو المقاربات الفكرية في الإنتاج يجعل منه مجرد إعادة إنتاج تقني خالٍ من البُعد الهوياتي.

ويرى الباحث أن على المؤسسة التربوية أن تعمل على تمكين الطلبة من فهم السياق الاجتماعي والثقافي الذي يتحركون ضمنه، وتطوير أدوات التعبير الفني التي تعكس هذا الفهم بصرياً. وهذا يقتضي إعادة النظر في طرائق التدريس، وأساليب التقويم، ومضامين المشاريع الفنية، بحيث يتم إشراك الطلبة في التفكير النقدي والتحليلي ضمن عمليات إنتاجهم الفني.

مؤشرات الإطار النظري :

بناءً على ما تقدم، يمكن تحديد المؤشرات النظرية التالية لتحليل النتاج الفني الأكاديمي في ضوء تمثلات الهوية الثقافية:

1. درجة تمثل المفردات والعناصر الثقافية المحلية في النتاج الفني:

مدى حضور الرموز، الزخارف، الأزياء، الطرز المعمارية، والعادات الاجتماعية في الأعمال الفنية التي ينجزها الطلبة.

2. وعي الطالب بالهوية الثقافية في المضمون البصري:

مدى إدراك الطالب لأهمية الهوية الثقافية كمحتوى بصري يمكن التعبير عنه داخل العمل الفني.

3. فاعلية البرامج التربوية في تعزيز الوعي بالهوية الثقافية:

مدى قدرة المناهج التعليمية في كليات الفنون على تنمية ارتباط الطالب بمرجعياته الثقافية وجعلها جزءاً من ممارسته الفنية.

4. أساليب التعبير الفني المرتبطة بالهوية:

تحليل مدى استخدام الطلبة لأساليب وتقنيات نابعة من البيئة المحلية أو متأثرة بها في مقابل النماذج العالمية أو الوافدة.

5. المحمول الدلالي للرموز المستخدمة في النتاج الفني:

تقييم مدى قدرة الرموز والعناصر البصرية على إيصال دلالات ثقافية واضحة ومتماسكة داخل العمل الفني.

6. تجليات الانتماء الثقافي في معالجة الفكرة والموضوع:

تحديد مدى ارتباط الموضوعات التي يختارها الطلبة ببيئتهم، وقضايا مجتمعهم، وهويتهم القومية.

7. درجة الأصالة في التمثيل البصري للهوية:

قياس مدى استقلالية النتاج الفني عن النماذج الجاهزة، وتفرده في استلهام التراث والتقاليد بصيغ معاصرة.

8. المواءمة بين الشكل والمحتوى في التمثيل الثقافي:

تحليل مدى انسجام التعبير البصري مع الفكرة الثقافية المطروحة، من حيث التقنيات، الأسلوب، واللغة البصرية.

9. دور الهوية الثقافية في تكوين الرؤية الشخصية للطالب:

مدى مساهمة الهوية الثقافية في بناء أسلوب فني خاص بالطالب يعكس خلفيته الثقافية والاجتماعية.

10. درجة الوعي النقدي تجاه التحديات الثقافية والبصرية المعاصرة:

قدرة الطلبة على التفاعل النقدي مع مظاهر العولمة الثقافية، واستجابتهم لها من خلال تعزيز تمثلات الهوية المحلية .

الفصل الثالث / إجراءات البحث

اولا : مجتمع البحث .

يتكون مجتمع البحث من نتاجات طلبة المرحلة الثالثة في مادة (الأشغال الفنية) وكذلك نتاجات طلبة المرحلة الرابعة في مادة (تجارب فنية حرة) في كلية الفنون الجميلة /جامعة بابل للعام الدراسي (2024–2025)، تحديداً في قسم التربية الفنية. وجاء اختيار الباحث لنتاجات طلبة المرحلة الثالثة في مادة الأشغال الفنية، ونتاجات طلبة المرحلة الرابعة في مادة التجارب الفنية الحرة، استناداً إلى مجموعة من المسوغات العلمية والمنهجية التي تعزز من وجاهة هذا الاختيار، وهي كالآتي:

1. النضج المعرفي والبصري للطلبة في المراحل المتقدمة:
تمثل المرحلتان الثالثة والرابعة مستويات دراسية متقدمة، يكون فيها الطالب قد اكتسب خبرات متراكمة معرفياً وتقنياً، مما يجعله أكثر قدرة على التعبير عن ذاته وتمثلاته الثقافية من خلال العمل الفني.
2. خصوصية المواد المختارة في ارتباطها بالهوية الثقافية:
تتسم مادة الأشغال الفنية بمرونتها التطبيقية، وإمكانية استثمار الخامات المحلية، والرموز التراثية، مما يعزز ظهور التمثلات الثقافية بصرياً. كما تتيح مادة التجارب الفنية الحرة للطلبة فرصة التعبير عن أفكارهم بطرق إبداعية مفتوحة، ما يفضي إلى تجليات أكثر وضوحاً للهوية الثقافية ضمن النتاج الفني.
3. التحرر الجزئي من القوالب الجاهزة:
طبيعة هاتين المادتين تسمحان للطلبة بالخروج عن الأطر النمطية أو الأكاديمية التقليدية، مما يُفسح المجال لظهور الأبعاد الثقافية والاجتماعية والرمزية في الأعمال المنتجة بصورة تلقائية وفردية.

4. القرب من المخرجات النهائية للدراسة الأكاديمية:

ولاسيما لدى طلبة المرحلة الرابعة، حيث يُعد هذا المستوى محطة ختامية لمسارهم الأكاديمي، وهو ما يجعل نتاجاتهم تعبيراً مكثفاً عن تجاربهم الشخصية والجمالية والمعرفية، بما فيها وعيهم بالهوية الثقافية.

5. إمكانية قياس المؤشرات التربوية والثقافية:

تتسم الأعمال المنتجة في هذه المواد بإمكانية تحليلها وفق أدوات علمية محددة ومؤشرات تربوية وثقافية قابلة للرصد والمقارنة، مما يعزز من موثوقية النتائج المتحصلة من عملية التحليل.

6. الانسجام مع أهداف البحث وتساؤلاته:

يعكس اختيار هذه النتاجات انسجاماً مع أهداف البحث، التي تسعى إلى تحليل كيفية تجلي الهوية الثقافية بصرياً في النتاج الأكاديمي، وذلك من خلال مدخل تربوي يركز على أثر السياقات الثقافية والتربوية في بناء شخصية الطالب الفنان.

ولقد بلغ عدد النتاجات الكلي لطلبة المرحلة الثالثة في مادة الأشغال الفنية (107) عملاً فنياً، وبعد إجراء الفحص الأولي والتحليل التمهيدي لها، تم استبعاد (68) عملاً منها، وذلك لعدم تحقق أهداف البحث من خلالها أو لغياب التمثلات البصرية للهوية الثقافية فيها بصور واضحة.أما فيما يخص نتاجات المرحلة الرابعة في مادة تجارب فنية حرة، فقد بلغ عددها (71) عملاً، استبعد منها الباحث (29) عملاً للسبب ذاته، حيث لم تتوفر فيها السمات أو المؤشرات الدالة على تمثلات الهوية الثقافية التي يعتمدها البحث في تحليله ، وبذلك، بلغت العينة النهائية التي خضعت للتحليل (81) عملاً فنياً، توزعت بين نتاجات المرحلتين الثالثة والرابعة، وهي الأعمال التي أظهرت بشكل صريح أو ضمني تمثلات بصرية يمكن تحليلها في ضوء مؤشرات الهوية الثقافية المعتمدة في هذا البحث.

ثانياً : عينة البحث .

نظـراً لطبيعـة البحـث الكيفيـة التـي تعتمـد علـى التحليـل النـوعي للنتـاج الفنـي، ونظـراً لتجـانس مجتمـع البحـث مـن حيـث المرحلـة الدراسـية والبيئـة الأكاديميـة التـي أنتجـت فيهـا الأعمـال، فقـد عمـد الباحـث إلـى اختيـار خمـس (5) أعمـال فنيـة بصـورة قصـدية مـن العينـة الكليـة، وفقـاً لمعـايير علميـة تتصـل بأهـداف البحـث ومؤشراته النظرية.

وقد استند هذا الاختيار إلى المسوغات الآتية:

1. طبيعـة البحـث ونوعـه التحليلـي الكيفـي:يهـدف البحـث إلـى الكشـف عـن التمـثلات البصـرية للهويـة الثقافيـة لا إلـى التعمـيم الإحصـائي، لـذا فـإن التحليـل النـوعي لعـدد محـدود مـن الأعمـال المختـارة بعنايـة يتـيح فهمـاً أعمـق للمضـامين الثقافية والبصرية المتجلية فيها.

2. تجـانس مجتمـع البحـث:يتصـف مجتمـع البحـث بالتجـانس مـن حيـث الخلفيـة الأكاديميـة للطلبـة والظـروف التعليميـة التـي تـم فيهـا إنتـاج الأعمـال الفنيـة، ممـا يقلل من التباين في المعطيات ويُعزز من تمثيلية العينة المختارة.

3. تركيـز الجهـد التحليلـي علـى أعمـال ذات صـلة وثيقـة بالموضـوع:تـم اختيـار الأعمـال التـي أظهـرت أعلـى مسـتوى مـن تمـثلات الهويـة الثقافيـة بصـرياً، وفـق مؤشرات الإطار النظري، لضمان انسجام النتائج مع أهداف البحث وتساؤلاته.

4. الانسـجام مـع مـنهج دراسـة الحالـة:يتوافـق هـذا الاختيـار مـع طبيعـة مـنهج دراسـة الحالـة، حيـث يكـون التركيـز علـى حـالات مختـارة بعنايـة تحقـق أهـداف الدراسة وتُمثل ظاهرة البحث بصورة واضحة وقابلة للفحص.

ثالثاً : منهج البحث .

اعتمد البحث المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى، بوصفه الأنسب لدراسة الأعمال الفنية وتحليلها بصرياً وفق مؤشرات تربوية، بهدف الكشف عن تمثلات الهوية الثقافية لدى طلبة كلية الفنون الجميلة. ويقوم هذا المنهج على تحليل النتاج الفني من حيث المحتوى والرموز والأساليب المستخدمة، للكشف عن البُعد الثقافي والتربوي الكامن فيها.

رابعاً : أداة البحث .

اعتمد الباحث في تحليل العينة المختارة من النتاجات الفنية على مؤشرات الإطار النظري التي تم التوصل إليها في الفصل الثاني، بوصفها مؤشرات تكشف عن تمثلات الهوية الثقافية في الأعمال الفنية لطلبة كلية الفنون الجميلة. وقد استُخدمت هذه المؤشرات بوصفها مرجعاً إجرائياً لتحليل المضمون البصري ، وذلك لكون طبيعة البحث تعتمد المنهج الوصفي التحليلي الكيفي.وتستند هذه المؤشرات إلى تحليل كيفية تمثل الهوية الثقافية بصرياً من خلال عناصر الشكل، والموضوع، والأسلوب، والرمز ، والدلالة، والمرجعيات الثقافية، وغيرها من المؤشرات التي وُضعت وفق أسس علمية متماشية مع أهداف البحث وتساؤلاته.

خامسا : تحليل العينة .

انموذج (1)

المادة الدراسية: تجارب فنية حرة

العام الدراسي:2024-2025

القياس:80×100سم

الخامة: الوان اكريلك ، فوم، لوح خشبي

يحمل هذا العمل الفني بين طياته تمثلات غنية للهوية الثقافية العراقية، حيث اختار الطالب أن يجمع بين مجموعة من الرموز الحضارية والمعمارية التي تشكل مرتكزات الذاكرة الجمعية الوطنية. إذ تبرز بوضوح بوابة عشتار، رمزاً للحضارة البابلية العريقة، مشغولة بتفاصيل دقيقة تظهر تمسك الفنان بمفردات التراث الرافديني، وهو ما يعبر عن وعيه بأهمية استلهام إرثه الحضاري في تشكيل هوية بصرية معاصرة. إلى جانب بوابة عشتار، نجد أيضاً مأذنة الملوية الشهيرة التي ترتبط بالهوية الإسلامية العراقية، فضلاً عن نصب الشهيد ونصب انقاذ الثقافة العراقية ، ونصب الجندي المجهول، هذه النصب تمثل علامات على التاريخ المعاصر وروح النضال الوطني.

يلاحظ أن الطالب سعى إلى تقديم هذه الرموز بوصفها مكونات أساسية للذات الثقافية العراقية، جامعاً بينها ضمن مشهد تشكيلي واحد تحت قوس النصر، الذي يرمز إلى مفهوم الدفاع عن الوطن والانتصار للهوية. إن هذه القراءة البصرية تعبر عن إدراك الطالب بأن الهوية ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي بناء مستمر يتقاطع فيه الماضي مع الحاضر، وينسج خيوط المستقبل. وهنا تبرز إحدى الجوانب التربوية المهمة؛ إذ نجح العمل في تحقيق هدف أساسي للتربية الفنية، وهو تعزيز الوعي بالهوية الثقافية من خلال الإبداع التشكيلي، وجعل الطالب ليس مجرد ناقل للموروث بل مبدعاً يعيد إنتاجه بصياغات جديدة.

من الناحية التقنية، يوظف العمل تبايناً لونياً قوياً بين الألوان الحارة والباردة، ما يعزز الإيقاع البصري ويُبقي المشاهد في حالة من التواصل الحي مع عناصر اللوحة. فضلاً عن ذلك، فإن طريقة توزيع الكتل البصرية على سطح اللوحة تعكس فهماً لمبادئ التكوين الفني، حيث تتوازن العناصر على جانبي القوس بشكل مدروس، ما يؤشر إلى إلمام الطالب بالأسس الأكاديمية التي تؤهل أعماله للانخراط ضمن سياق تربوي يعزز التفكير الجمالي والابتكار.

على صعيد التعبير التربوي، تبرز أهمية هذا العمل في قدرته على تنمية حس الانتماء لدى المتلقي، عبر استدعاء رموز تجسد قيم الصمود والتقدم والوحدة الوطنية. فاختيار النماذج المعمارية والنصب التذكارية لم يكن عشوائياً، بل جاء نابضاً بروح البحث عن

المشترك الثقافي الذي يشكل أساس الهوية الجمعية. وهذا يتماهى مع الرؤية التربوية المعاصرة التي ترى أن تعزيز الهوية الثقافية لدى الطلبة لا يمر فقط عبر الحفظ المعرفي، بل من خلال ممارسة التعبير الفني الذي يغذي الوجدان ويثري الإدراك.

ختاماً، يمكن القول إن العينة الأولى تمثل استجابة تربوية وفنية واعية لمتطلبات بناء الهوية الثقافية من خلال العمل الفني الأكاديمي، حيث استطاع الطالب أن يحول الرموز التراثية إلى خطاب بصري حي يترجم التداخل بين الأصالة والحداثة، ويؤكد على الدور الحيوي للفن في التربية على الهوية والانتماء الوطني.

انموذج (2)

المادة الدراسية: أشغال فنية

العام الدراسي:2024-2025

القياس:25×40سم

الخامة: ألوان اكريلك الوان تحديد، زجاج على خشب

يقدم هذا العمل الفني صورة نابضة بالحياة لتمثلات الهوية الثقافية الشعبية، من خلال مشهد بسيط لكنه غني بالرموز والدلالات. اختار الطالب أن يجسد امرأتين ترتديان الزي التقليدي المحلي، وتحملان جرار الماء فوق رأسيهما، وهي صورة مألوفة متجذرة في الذاكرة الجمعية للمجتمع العراقي والعربي عامة. يعكس هذا التمثيل وعياً حقيقياً بقيمة الحياة اليومية البسيطة بوصفها مكوناً أصيلاً من الهوية الثقافية التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.

تتجلى البراعة التشكيلية للطالب في كيفية معالجته اللونية، حيث اعتمد على تنويعات دافئة في درجات الذهبي والأزرق والأسود، مما أضفى على المشهد قدراً من النبل والسمو، وجعل الشخصيات تبدو وكأنها تنتمي إلى عالم أسطوري أكثر من كونها مجرد نساء عاديات. الألوان المتناثرة حول الشخصيتين، خصوصاً تكرار رموز العين الزرقاء

بأحجام وألوان مختلفة، تعزز فكرة الإيمان بالموروث الشعبي والرمزي، وتحيل إلى معتقدات الحماية والبركة، وهي جزءً لا يتجزأ من الهوية الثقافية المحلية.

من منظور تربوي، يبرز هذا العمل كوسيلة مثلى لترسيخ قيم الاعتزاز بالتراث الشعبي، وتعزيز الانتماء إلى الجذور الثقافية. إذ لم يكتف الطالب باستحضار الشكل التقليدي، بل أضفى عليه طابعاً جمالياً معاصراً من خلال أسلوب التبسيط والخطوط الانسيابية، ما يشير إلى فهمه لأهمية تقديم الموروث بطريقة تتناسب مع ذائقة المتلقي الحديث. وهذا يعد مظهراً من مظاهر التربية الفنية الناجحة، حيث يتعلم الطالب كيف يعبر عن موروثه بأسلوب يحترم أصالته دون أن يقع في فخ التقليد أو النقل الجامد.

أما من الناحية التركيبية، فقد جاء التكوين قائماً على توازن داخلي هادئ، إذ تتوزع الزخارف المحيطة بالشخصيتين بطريقة تحيط بهما دون أن تطغى عليهما، مما يؤكد سيطرة الفنان على العناصر التشكيلية داخل اللوحة. ويعكس هذا أيضاً جانباً تربوياً بالغ الأهمية يتمثل في تنمية مهارات التنظيم البصري والقدرة على إدارة الفضاء التشكيلي بما يخدم الفكرة الأساسية.

كما يحمل هذا العمل رسالة تربوية عميقة، إذ يُعيد للذاكرة الجمعية صور المرأة الريفية ودورها المركزي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبهذا لا يقدم العمل مجرد صورة جمالية، بل ينفتح على أسئلة الهوية، ودور المرأة، والعلاقة مع الموروث، وكلها موضوعات محورية في مسار التربية الفنية المعاصرة التي تسعى إلى بناء وعي نقدي بالذات الثقافية.

في النهاية، يُمكن اعتبار هذه العينة نموذجاً ناجحاً لكيفية توظيف الفن في إعادة قراءة التراث الشعبي من منظور حداثي، بما يسهم في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، ويعزز أبعاد التربية على المواطنة والانتماء لدى طلبة الفنون الجميلة.

انموذج (3)

المادة الدراسية: أشغال فنية

العام الدراسي:2024–2025

القياس: 60 × 80سم

الخامة: ألوان اكريلك ،خشب، قماش، على لوح خشبي

تأتي هذه العينة بوصفها تمثيلاً بصرياً للهوية الثقافية الإسلامية، حيث يوظف الطالب الخط العربي بوصفه عنصراً مركزياً في تكوين العمل. اللوحة تحتفي بأسماء الله الحسنى، وهي تمثل خطاباً بصرياً دينياً يستمد دلالته من التراث الإسلامي العميق. اختيار الخلفية المزخرفة المستلهمة من الطراز الإسلامي ، خاصة بنمطها الزخرفي الدقيق وألوانها الغنية، يعكس وعياً بصرياً بثقافة الزخرفة الإسلامية، ويُظهر قدرة الطالب على دمج الخط والزخرفة في وحدة بصرية متناغمة.

من الناحية الجمالية، تشكل العلاقة بين النصوص الخطية والمساحات اللونية المحيطة بها توازناً دقيقاً بين الكثافة والفراغ، مما يدل على فهم عالٍ لأسس التكوين الفني. استخدام اللون البنفسجي القاتم كلون خلفي أعطى النصوص المكتوبة باللون الذهبي طابعاً احتفالياً، يُحاكي قدسية المعنى ويوحي بالوقار، وهو أسلوب تقليدي معروف في المخطوطات والعمارة الإسلامية، ما يعزز دلالات الهوية الثقافية في العمل.

أما من الناحية التربوية، فإن العمل يُعد مثالاً تطبيقياً على قدرة الطلبة على توظيف العناصر البصرية لخدمة أفكار نابعة من عقيدتهم وثقافتهم، ما يعزز فيهم الشعور بالانتماء والاعتزاز بالتراث الإسلامي. إن إنجاز مثل هذا العمل في سياق أكاديمي لا يعكس فقط المهارات التقنية لدى الطالب في مجال الخط والزخرفة، بل يكشف أيضاً عن وعي فكري وفني بقيمة التراث كوسيلة للتعبير عن الذات ضمن الفضاء التربوي.

يمثل هذا العمل كذلك فرصة لإدماج مفاهيم التربية الفنية ذات الطابع القيمي، إذ أن اختيار أسماء الله الحسنى موضوعاً للعمل يعكس توجهاً نحو تعزيز البعد الروحي في

العملية الفنية، وهو ما ينسجم مع التوجهات التربوية التي تسعى إلى تنمية الإنسان في أبعاده المتكاملة: الجمالية، والمعرفية، والوجدانية. وهكذا يتحول العمل الفني إلى مجال لإعادة ربط الطالب بمصادر هويته الدينية والثقافية من خلال ممارسات إبداعية.

اللافت في هذا العمل أيضاً هو تمكن الطالب من الجمع بين صرامة القواعد الخطية التقليدية والانفتاح على المعالجات التشكيلية المعاصرة، كاختيار الألوان القوية ومزجها بجرأة داخل حدود الزخارف. هذا التوظيف الحر للتقنيات يعكس ملامح من الاتجاهات التربوية الحديثة التي تشجع الطلبة على التجريب والتوليف بين التراث والمعاصرة، وهو ما يُعد من مخرجات التعليم الفني النوعي الذي يهدف إلى بناء شخصية فنية ناقدة ومبدعة في آن.

في المحصلة، يظهر هذا العمل بوصفه نموذجاً متكاملاً لتجلي الهوية الثقافية الدينية في ممارسات الفن الأكاديمي، ويمثل رافداً تربوياً قوياً يمكن من خلاله ربط المتعلم بجذوره الفكرية والجمالية، عبر وسائط تعبيرية بصرية حديثة، تتيح له التواصل مع مجتمعه بثقة وإبداع.

انموذج (4)

المادة الدراسية: تجارب فنية حرة

العام الدراسي:2024–2025

القياس: 60 × 80سم

الخامة: الوان اكريلك، ورق مناديل ،غراء، لوح خشبي

يحمل هذا العمل الفني، الذي أنجزه أحد طلبة كلية الفنون الجميلة، بعداً بصرياً وتربوياً غنياً، يتجلى في اختياره للموضوع، وطريقة المعالجة، والخامات المستخدمة، مما يجعله نموذجاً صالحاً لدراسة العلاقة بين الهوية الثقافية والتعبير الفني في سياق تربوي معاصر.

من الناحية البصرية، يستند التكوين إلى تمثيل مدينة عربية–إسلامية ذات طابع تراثي واضح من خلال إبراز القباب، الأقواس، المآذن، والنوافذ المقوسة، وكلها عناصر تنتمي إلى المفردات المعمارية التي تشكل جوهر الهوية البصرية للمدينة العربية. يتعمد الفنان الطالب تكثيف هذه العناصر في حيز ضيق، ما يمنح اللوحة كثافة دلالية تشير إلى تلاصق النسيج العمراني في المدن القديمة، وتعكس وحدة الحياة الجماعية، وقرب العلاقات الاجتماعية. هذا التزاحم ليس فقط مكانياً، بل أيضاً لونياً، إذ تتجاور الألوان الأساسية (الأحمر، الأصفر، الأزرق) مع مشتقاتها في مساحات صغيرة، من دون تدرج أو فراغات، مما يعبّر عن حياة مدنية نابضة ومفعمة بالحركة والانفعال.

أما من الناحية التشكيلية، فقد وظّف الفنان أسلوبًا تعبيرياً يميل إلى "البدائية الواعية" أو الفطرية الفنية (Art Naïf)، التي تبتعد عن الإتقان الأكاديمي في التمثيل لصالح الصدق العاطفي والارتباط المباشر بالتجربة الشخصية أو الذاكرة الجماعية. وقد أسهمت الخامة المستخدمة – والتي تبدو كأنها عجينة ورقية أو مادة نسيجية خشنة – في تعزيز الجانب الحسي للمشهد، حيث لا تكتفي العين بالرؤية، بل تكاد "تلمس" السطح، مما يفعّل الحواس الأخرى في تلقي العمل.

يُلاحظ أيضاً الاستخدام الذكي للعناصر الدخيلة على اللوحة مثل الأزرار، وهي توظيف غير مألوف، لكنه يفتح مجالاً تربوياً واسعاً لفهم قيمة "الوسائط المتعددة" في التشكيل المعاصر. فالفنان هنا لا يكتفي باللون والملمس، بل يُدرج عناصر واقعية مأخوذة من الحياة اليومية، وكأنّه يقول إن المدينة التي يرسمها ليست فقط صورة ذهنية، بل تجربة معيشة يمكن لمسها وتفكيك تفاصيلها.

إن هذا العمل يعكس قدرة الطلبة على التعبير عن هويتهم الثقافية بأساليب ذاتية تنطلق من الذاكرة البصرية والتجربة الحياتية، بعيدًا عن النمطية أو التكرار. ومن هنا تبرز أهمية هذا النموذج التربوي الذي لا يُقحم الطلبة في قوالب جاهزة، بل يتيح لهم إعادة صياغة البيئة التي ينتمون إليها من منظورهم الشخصي.

من خلال توظيف العناصر المحلية، يُعيد الطالب بناء المدينة كفضاء للانتماء، وكأنّه يُعيد رسم "الوطن الصغير" كما يحسه ويتذكره، لا كما يُفترض أن يكون. هذا الفعل

التربوي مهم في تعزيز الوعي الثقافي، وتنمية الهوية الفنية الخاصة، وتحفيز الطلبة على مساءلة المألوف وتجاوزه.

كما يعكس العمل أيضاً توجهاً تربوياً حديثاً يرتبط بالمفاهيم البيئية، من خلال اعتماد خامات معاد تدويرها، واستخدام مكوّنات غير تقليدية (مثل الأزرار)، مما يعزز قيم الاستدامة البيئية داخل العملية التعليمية، ويجعل من الفن وسيلة للتفكير النقدي والمشاركة المجتمعية.

يمثل هذا العمل مثالاً بصرياً حياً على تمثل الهوية الثقافية من خلال أدوات بسيطة، لكنه في جوهره تركيب جمالي وفكري معقّد. إن انخراط الطالب في هذه التجربة الفنية يؤكد نجاح العملية التربوية في فتح أفق التعبير الحر، وترسيخ مفاهيم الانتماء الثقافي، والوعي البيئي، والابتكار التقني، وهي جميعاً مؤشرات لمقاربة تربوية معاصرة في تعليم الفنون البصرية.

انموذج (5)

المادة الدراسية: تجارب فنية حرة

العام الدراسي:2024-2025

القياس: 80× 80سم

الخامة: ألوان اكريلك، ورق كارتون، لوح خشبي

تقدّم هذه العينة التشكيلية رؤية رمزية واضحة لهوية العراق من خلال مقاربة بصرية تمزج بين الشكل الجغرافي للبلاد والعناصر الثقافية والدلالات التاريخية، في عمل يجمع بين التركيب الكولاجي والتصوير الرمزي، مما يعكس وعياً ثقافياً وتربوياً لدى الطالب الفنان.

تأتي الخريطة الجغرافية للعراق كعنصر محوري يحتل مركز العمل، لا بوصفها تمثيلاً جغرافياً فحسب، بل بوصفها حاملاً رمزياً للهوية، حيث تتحول التضاريس إلى رموز ثقافية. من خلال هذا التوظيف، يربط الفنان بين مفهوم الأرض والانتماء، ويُدخل المُشاهد مباشرة في جوهر العمل: الوطن كجسد بصري له ملامح خاصة.

في قلب هذا التكوين تظهر أشجار النخيل، في توظيف مباشر لرمز ثقافي عراقي عميق الجذور، يمتد في الذاكرة الجمعية العراقية كعلامة على الحياة، الخصوبة، الكرامة، والاستمرارية. النخيل هنا ليس مجرّد عنصر بيئي، بل هو علامة بصرية للهوية، ومن خلال وجوده في منتصف الخريطة، يحيل إلى مركزية التراث الزراعي والروحي في تشكيل الوعي الجمعي.

تمثل الخامة أحد العناصر المهمة في هذا العمل، حيث يبدو أن الفنان قد اعتمد على خامات مركبة مطلية بمادة لامعة تعكس الضوء، ما يعطي انطباعاً بالتماوج والعمق، ويُخرج الخريطة من بعدها المسطح إلى بعد حسي وملموسي. ويُلاحظ وجود قطع لونية مضافة، وتدرجات تعكس تنوع الطيف البيئي والجغرافي للعراق (من الشمال الجبلي إلى الجنوب الصحراوي).

كما تظهر بعض الرموز والخطوط المرسومة على الخريطة، وهي أقرب إلى الكتابة المسمارية ، في إشارة ذكية إلى الإرث الحضاري القديم، لاسيما إرث سومر وأكد وبابل، مما يربط الماضي السحيق بالحاضر المعيش.

يمثل هذا العمل نموذجاً بارزاً لدمج مفاهيم الهوية الوطنية في سياق تربوي فني، حيث استطاع الطالب أن يحوّل المفاهيم المجردة (الوطن، الذاكرة، التراث) إلى أشكال مرئية قابلة للتأمل والتفسير. فهو يعيد تقديم الوطن كمساحة للحياة والخصب والمعنى، وليس فقط كجغرافيا سياسية.

يؤشر هذا التوجه إلى نجاح المقاربة التربوية التي تحفز الطلبة على استلهام الرموز المحلية وتوظيفها إبداعياً، بما يُنمّي الوعي الثقافي والانتماء، ويشجّع على إنتاج فن تشكيلي يعكس التجربة الذاتية والبيئة الاجتماعية.

من جهة أخرى، فإن هذا العمل يُظهر اتجاهاً نحو الفن التربوي الموجه بالقيم، حيث تُدرج القيم مثل الوحدة، الجذور، التنوع، والانتماء في محتوى العمل من دون خطاب مباشر، بل عبر التشفير الرمزي.

تتجلى في هذا العمل ملامح تمثيل بصري للهوية الثقافية العراقية، من خلال الجمع بين الخريطة كرمز للوطن، والنخيل كعلامة للخصب، والكتابة القديمة كدليل على

العمق الحضاري. العمل يعكس وعياً فنياً وتربوياً متقدماً، ويمثل مثالاً جيداً على كيف يمكن للتربية الفنية أن تُسهم في ترسيخ الهوية الثقافية وتعميق الانتماء لدى الطلبة من خلال التعبير الإبداعي.

الفصل الرابع / النتائج والاستنتاجات

أولا . النتائج :

1. يظهر النموذج (1) تركيزاً واضحاً على الرموز الحضارية والمعمارية المعاصرة كوسيط بصري يمثل الهوية الثقافية المحلية، مما يعكس وعي الطالب بأهمية الموروث الثقافي للبلد في تشكيل النتاج الفني.
2. تميز النموذج (2) بإبراز هوية المرأة العراقية في سياقها الرمزي والاجتماعي، من خلال مشهد تعبيري استخدمت فيه عناصر من الفلكلور والموروث الشعبي، بما يدل على توظيف تربوي هادف لموضوعة الهوية، ووعي فني برمزية الشكل الثقافي ودلالته النفسية والاجتماعية.
3. كشف النموذج (3) عن استخدام مباشر للرموز الدينية بوصفها مكوناً ثقافياً أساسياً، ما يدل على أن الهوية لدى بعض الطلبة لا تزال مرتبطة بالثوابت العقائدية ضمن بنية الإنتاج الفني.
4. جاء النموذج (4) متميزة من حيث دمج العناصر البصرية المستوحاة من البيئة البنائية العراقية ، مما يدل على فهم بصري ووجداني للهوية الثقافية.
5. قدم النموذج (5) رؤية رمزية ناضجة لهوية العراق، من خلال مقاربة بصرية جمعت بين الشكل الجغرافي للبلاد والدلالات التاريخية، مع توظيف لأسلوب الكولاج والتصوير الرمزي، ما يدل على وعي ثقافي وتربوي، وسعي واضح لترسيخ الهوية في الخطاب البصري.
6. هناك تفاوت في مستوى استخدام التكوين والعناصر الجمالية الدالة على الهوية، حيث جاء النموذج (1) الأقرب إلى التوازن الجمالي بين الشكل والمضمون الثقافي.

7. تنوعت مصادر الإلهام في العينات الخمس بين الذاكرة الشعبية، والرمز الديني، والموروث الشعبي والزخرفي ، مما يشير إلى تعددية المرجعيات الثقافية لدى طلبة كلية الفنون.

8. إن تمثل الهوية الثقافية لم يكن مقتصراً على الموضوع فقط، بل امتد إلى الأساليب التقنية والخامات المستخدمة، مما يعكس وعي الطالب بأهمية الشكل كوسيط ثقافي وهو ما يظهر في جميع نماذج العينة.

9. أظهرت نتائج التحليل أن التكوين الأكاديمي لا يمنع ظهور التمثلات الثقافية الذاتية، بل قد يعززها عندما يكون المنهج مرناً ويفتح المجال أمام التعبير الفردي.

10. إن الهوية الثقافية ليست مجرد محتوى يتم تضمينه، بل هي بنية بصرية ونفسية تتجسد عبر اختيارات الطالب التعبيرية والتقنية، وهذا ما ظهر في جميع نماذج العينة.

ثانياً . مناقشة النتائج :

أظهرت الأعمال الفنية التي تم تحليلها أن معظم الطلبة يمتلكون درجة متفاوتة من الوعي بهويتهم الثقافية، تتجلى في استخدام الرموز، والزخارف، والموضوعات المحلية، مما يعكس تمثلات بصرية صريحة أو ضمنية للثقافة العراقية، وهذا يدعم توجه البحث بالكشف عن مدى وعي الطلبة بالهوية الثقافية ومدى حضورها فعلاً في النتاج الفني الأكاديمي.

وكشفت النتائج عن أن إدراك الطلبة للعناصر الثقافية في بيئتهم يعزز لديهم مهارات التفسير البصري والتحليل الرمزي، وهي ممارسات تربوية تسهم في تنمية التفكير النقدي والانتماء الثقافي، وهو ما يعزز أهمية دمج الهوية الثقافية في المناهج الفنية.

وأن غالبية الطلبة وظفوا رموزاً بصرية ذات مرجعيات ثقافية (كالخط العربي، والزخارف الإسلامية، والموروث الشعبي)، وهذا التوظيف لم يكن عشوائياً، بل مدروساً في كثير من العينات، مما يشير إلى وعي دلالي وجمالي قابل للتنمية ضمن المنهج التربوي.

لقد أثبتت مادتا "الأشغال الفنية" و"التجارب الحرة" فعاليتهما كبيئتين منتجتين لتمثلات الهوية، مما يعزز من أهمية المواد التطبيقية كمجالات لتعزيز القيم التربوية والثقافية عبر النتاج الفني.

وان البيئة التعليمية المشجعة على الانفتاح الثقافي تعزز تمثلات الهوية لدى الطالب، في حين أن البيئات المقيدة أو ذات النمط الواحد قد تعيق الابتكار في التعبير الثقافي.

وبعض الأعمال حملت ملامح مقاومة للأنماط البصرية المستوردة، وسعت إلى بناء خطاب فني بديل عبر الهوية الثقافية، مما يبرز دور الفن كأداة تربوية ذات بعد اجتماعي وثقافي.

وإذ تشير نتائج التحليل إلى أن كثيراً من النتاجات تتجه لبناء خطاب بصري محلي يتسم بالاستقلالية من حيث الفكرة والتقنية، مما يفتح المجال أمام تطوير رؤى جديدة في التربية الفنية تستند إلى الهوية.

ثالثاً . الاستنتاجات :

1. ساهمت بعض الموضوعات المطروحة في المواد الدراسية، لا سيما "الأشغال الفنية" و"تجارب فنية حرة"، في تحفيز الطلبة على التعبير عن خلفياتهم الثقافية من خلال الإنتاج الفني، مما يشير إلى بعد تربوي ضمني في تلك المقررات.

2. إن تعزيز البعد التربوي في تدريس الفنون يوفر للطلبة مساحة لفهم هويتهم الثقافية وتمثيلها بصرياً، مما يدعم بناء شخصية فنية أصيلة ومتفردة.

3. أن إدماج مفاهيم الهوية الثقافية في العملية التربوية للفنون يعزز من استقلالية الطالب في الإنتاج البصري، ويُسهم في بناء وعي جمعي وفردي بالانتماء، ويحد من تأثير العولمة البصرية، ويقلل من استنساخ النماذج الغربية.

4. تمثل الهوية الثقافية في النتاج الأكاديمي ليس ناتجاً عرضياً، بل هو نتيجة لتفاعل معرفي وتربوي بين الطالب والمحتوى التعليمي، ما يتطلب إدماج هذه المفاهيم بوعي ضمن المنهج.

5. وجود تفاوت في عمق التمثلات، بين توظيف سطحي للرموز الثقافية وتوظيف يحمل دلالات معرفية ووجدانية أعمق، وهو ما يبرز الحاجة إلى تطوير آليات تدريس الفنون بما يعزز التفكير التحليلي والرمزي لدى الطلبة.

6. تشير النتائج إلى إمكانية اعتماد تحليل النتاجات الفنية كأداة تقييم غير تقليدية لمستوى وعي الطلبة بثقافتهم، وهو ما يمكن أن يثري الممارسة التربوية للفنون.

7. يبرز من خلال التحليل أهمية تطوير مناهج تعليم الفنون لتشمل تمارين وأنشطة تتيح للطالب تأمل هويته الثقافية وإعادة إنتاجها بصرياً.

رابعاً . التوصيات :

1. إدماج مفاهيم الهوية الثقافية ضمن المناهج الدراسية في كليات الفنون الجميلة، لا سيما في المواد التطبيقية، بطريقة منهجية تسهم في تعزيز وعي الطلبة بثقافتهم المحلية.

2. اعتماد التحليل البصري للنتاجات الفنية كأداة تقييم تربوي لفهم مدى استيعاب الطلبة للمرجعيات الثقافية، وتطوير قدراتهم على التعبير الفني عنها.

3. تشجيع الأساتذة على استخدام استراتيجيات تدريسية تُحفّز الطالب على البحث في تراثه البصري والمجتمعي، وتحويل تلك المرجعيات إلى عناصر إبداعية في إنتاجه الفني.

4. عقد ورش عمل ومعارض طلابية موجهة تدور حول موضوعات الهوية والانتماء الثقافي، لتوفير بيئة تعلّمية محفزة للتمثلات البصرية النابعة من الوعي الذاتي.

5. إعادة النظر في مقررات المواد العملية لتتضمن تمارين تحليلية ونقدية تساعد على تنمية الحس البصري النقدي للطلبة تجاه الرموز والعناصر الثقافية.

6. دعم البحوث التربوية النوعية التي تركز على العلاقة بين التعليم الفني وبناء الهوية الثقافية، لما لها من أثر في تطوير فلسفة التعليم العالي في مجال الفنون.

7. إتاحة مساحات أوسع للحرية الإبداعية في مشاريع التخرج والممارسات الصفية، مع توجيهها نحو التعبير الثقافي، مما يعزز من خصوصية النتاج الأكاديمي.

8. إعداد برامج تدريبية لأعضاء هيئة التدريس في مجال تحليل التمثلات الثقافية بصرياً، لتمكينهم من رصد وتوجيه أنشطة الطلبة بما يتماشى مع أهداف الهوية التربوية.

9. تحفيز الطلبة على إجراء بحوث فنية تطبيقية تستند إلى مفاهيم الهوية الثقافية وتحليلها، بوصفها مشروعات تعليمية متكاملة تربط النظرية بالممارسة.

خامساً . المقترحات:

1. إجراء دراسات مقارنة بين كليات الفنون الجميلة في العراق ودول أخرى عربية أو أجنبية، لقياس مدى حضور الهوية الثقافية في نتاج الطلبة.

2. توسيع دائرة البحث لتشمل مراحل دراسية أخرى، وخاصة المراحل الأولى، لرصد تطور تمثل الهوية الثقافية لدى الطلبة في مختلف المستويات.

3. بناء برامج تدريبية ميدانية للطلبة بالتعاون مع مؤسسات ثقافية وفنية، لتعزيز الصلة بين المعرفة النظرية والممارسة الميدانية المرتبطة بالهوية.

4. استخدام مؤشرات هذا البحث في إعداد أدوات تقييم للنتاج الفني، يمكن أن تسهم في تطوير آليات تقويم إبداع الطلبة في ضوء مراجعهم الثقافية.

5. تطوير مشاريع بحوث تربوية تدمج بين الهوية الثقافية والتعليم الفني الرقمي، بوصفه اتجاهاً حديثاً في التعبير البصري عن الذات والانتماء.

المصادر .

أولا. المصادر العربية:

1- أبـو زيـد، احمـد: الهويـة الثقافيـة فـي زمـن الصـورة ، مجلـة الكاتـب العربـي ، العـدد 51 ، 2021.

2- احمـد ، فاطمـة الزهـراء: الفـن والتربيـة : جدليـة التعبيـر والقيمـة ، المجلـة التربويـة العراقية ، العدد 16 ، 2020.

3- آل سـعيد ، شـاكر حسـن : البنيـة المضـمرة فـي الفـن العربـي المعاصـر ، دار الشـؤون الثقافية ، بغداد ، 2006.

4- الزبيدي، علي:الفنون والهوية الثقافية ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، 2009.

5- عبـد الجبـار، سـميرة : بنيـة العمـل الفنـي الأكـاديمي : بـين التكـوين والابتكـار، مجلـة علوم الفنون ، جامعة بغداد ، العدد19 ، 2021.

6- عبـد السـلام ، محمـد : دلالـة الرمـز فـي التشـكيل العربـي المعاصـر ، مجلـة الفنـون التشكيلية ، جامعة بغداد ، العدد 30 ، 2019.

7- عبـد اللطيـف، نـدى حسـن: أثـر الهويـة الثقافيـة فـي تنميـة الحـس الإبـداعي لـدى طلبـة الفنون ، مجلة كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان، العدد 31، 2020.

8- العروي، عبد الله :مفهوم الثقافة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992.

9- العقيلـي، خالـد: إشـكالية الهويـة فـي التعلـيم الفنـي الأكـاديمي، مجلـة الفنـون والآداب ، العدد 22 ، 2022.

10- علـي ، محمـد شـفيق : الهويـة والتمثيـل البصـري ، مجلـة الفنـون البصـرية، العـدد 22،2021.

11- عوض، ماجد :المدخل التربوي المعاصر، عمان ، دار المسيرة، 2019.

12- الكيلاني ، فاروق :أسس تدريس الفنون الجميلة ، دار المسيرة،عمان، 2015.

13- وطفة، علي:التربية والهوية الثقافية، اتحاد الكتاب العرب،دمشق ، 2006.

ثانيا. المصادر الأجنبية:

14-Hall, Stuart. Cultural Identity and Diaspora. In P. Mongia (Ed.), Contemporary Postcolonial Theory. London: Arnold . 1996.
15-Hall, Stuart. Cultural Identity and Diaspora. In: Rutherford, J. (Ed.), Identity: Community, Culture, Difference, London: Lawrence &Wishart, 1990.
16-Freire, Paulo. Pedagogy of the Oppressed. New York: Continuum, 1970.
17-Bhabha, Homi K. The Location of Culture. London: Routledge, 1994.
18-Appadurai, Arjun. Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization. University of Minnesota Press, 1996 .
19-Smith, Geoffrey. Art Education in Theory and Practice. London: Routledge, 2003.
20-Dewey, John. Art as Experience. New York: Minton, Balch & Company, 1934.
21-Read, Herbert. Education Through Art. London: Faber and Faber, 1943.
22-Said, Edward. Culture and Imperialism. New York: Vintage Books, 1994.